الباب الرابع

من الميلاد إلى بعثة النبى

القدس في القرون الأولى للميلاد

كان المجتمع اليهودي في تعامله مع الرومان منقسماً على نفسه، بين ممالئ لهم متعاون معهم، وبين كاره لسلطانهم ووثنيتهم، يحافظ على بقايا دعوات الأنبياء وحين أظهر المسيح عليه السلام دعوته ازداد الحاسدون المنافقون الذين يتعاونون مع الروم، ومن الطبيعي أن يكون أكثر هؤلاء من أحبار اليهود الخائفين على سلطانهم أن يزيله هذا الفتى العظيم، الذي جاءهم يقول كما حكى القرآن: { وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ 49 وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ 50 إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ

مُّسْتَقِيمٌ}،فتعاون الخائفون على سلطانهم حكاماً وأحباراً على الخلاص من النبي الكريم،لكن الله تعالى نجّاه منهم وكان هذا الحادث من كبار حوادث تاريخ القدس أثراً في العالم؛ لما بُني عليه من عقيدة الفداء التي قامت عليها المسيحية كلها، بعد أن فسر بولس – المقتول حوالي سنة 67م عقيدة المسيح تفسيراً آخر تماماً غير ما كان يقوله المسيح عليه السلام.

كان الرومان حينئذ قد وضعوا ولاية فلسطين منذ سنة 29م في يد رجل قاس هو بيلاطس البنطي، واتخذ بيلاطس من المدينة الجديدة التي بناها سلفه هيرود قيصرية قاعدة لحكمه، وقد تآمر اليهود معه على نبي الله عيسى عليه السلام ووجدها فرصة ليضمن ولاء هؤلاء المشاغبين له، وسعت شرطته إلى إيقاع النبي الكريم في يد أعدائه اليهود وكانوا قد ظنوا حينئذ أنهم متى أرادوا قتل نبي قتلوه، ولم يمنعهم من ذلك أحد، حتى الذي أرسله لكن الله تعالى كما افتتح حياة عبده الصالح المسيح بآية من آيات قدرته، فقد ختمها أيضا بآية من هذه الآيات، قال تعالى عن اليهود: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا157 بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} .

ولم يجد عيسى عليه السلام في القدس وفلسطين من يجيب دعوته إلا نفراً قليلاً من الحواريين، مما يعني أن الانتقال بالخير والنبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم صار أمراً لابد منه؛ ليعتدل حال البشرية، ويستقيم ميزان الحياة الإنسانية، لكن النبوة الجديدة لم تأتِ إلا بعد حوالي ستة قرون، أكّدت أن البشرية لا غنى لها عن الوحي والعون الإلهي وكان التقاء الأنبياء أولِهم وآخرهم ليلة الإسراء وفي رحلة المعراج علامة وحدة وأخوة عميقة شهدتها القدس ورحاب حرمها الشريف، كما شهدتها السموات.

القدس تحت حكم هيرود أجريبا

بعد موت هيرود الكبير سنة 4م تبعت القدس حكم الرومان مباشرة، ومنذ سنة 14م تولى أمر فلسطين جابٍ صغير، وتولاها سنة 29م بيلاطس البنطي الشهير، لكنه لم يمكث في منصبه سوى سنوات قلائل، فقيل إنه مات منتحراً، وقيل بل نفاه الرومان إلى بلاد الغال فرنسا حيث مات وجدد الرومان ثقتهم في الأسرة الأدومية، ووجدوا في هيرود أجريبا حفيد هيرود الكبير مَن يصلح لولاية فلسطين وكان هذا الرجل ممن تربوا في روما، وشربوا عادات الإمبراطورية، ونشأوا على الولاء لها ونجد أخباره وأخبار ابنه هيرود أجريبا الثاني في أعمال الرسل من العهد

الجديد، فالمؤرخ اليهودي الشهير يوسفوس ينسب إليه أنه أقام سوراً جديداً بالجهة الشمالية للقدس، ودمج الطرف الجنوبي للتل الغربي في المدينة، فاتسعت كثيراً عما كانت عليه في عهد جده هيرود، حتى صارت مساحتها 310 أكرات الأكر يساوي 4000م2 تقريباً.

بعد وفاة هيرود أجريبا السريعة وُضعت القدس وفلسطين تحت الوصاية الرومانية من جديد، ورفضت روما أن تولي هيرود أجريبا الثاني عقب وفاة أبيه؛ لحداثة سنه، واصل إقامته في روما، حتى حظي عندها، وولّته مَلكا على فلسطين وبعض مناطق لبنان الداخلية وحين تولى إمبراطور روما الطاغية نيرون عرش روما 54 – 68م، وسّع من مناطق سلطة هيرود أجريبا، الذي بقي في منصبه حتى دمر القائد الروماني تيطس القدس سنة 70م وإلى فترة حكم أجريبا الثاني يُنسَب إتمام بناء ما يسمى بالهيكل سنة 64م، الذي كان هيرود الكبير جد أبيه قد بدأ في إقامته سنة 20م وقد اعتنى المؤرخ اليهودي المجرَّح في روايته يوسفوس بأخبار هذا البناء، فمساحته ضوعفت،وجاء بناءه بالصخور البيضاء، وارتفع سطحه أكثر من بناء سليمان.

التدمير الروماني للقدس:

في بداية الحكم الروماني لفلسطين، بدا اليهود بقايا أمة تدعي لنفسها التميّز، لكنها لا تملك لذلك أسباباً، ولا تقدم عللاً مقنعة لهذا التميز، فقط هم الشعب المميز أو المختار الذي التصق به هذا الفضل، ولن ينفصل عنه، مهما زاغ عن طريق الصالحين من الآباء، وسار على نهج الكافرين والملحدين منهم وفي الوقت نفسه كان الرومان يولون على فلسطين وجوها قبيحة سفاكة للدماء، فكان ذلك مدعاة لإثارة الكثير من القلاقل، خاصة في القدس.

والحقيقة أن المصادر قلّما تحدثنا عن تاريخ غير اليهود بالقدس طوال بضعة قرون قبل الميلاد، وبضعة قرون أخرى بعده، فيبدو تاريخ القدس أثناء هذه الفترة على أنه صراع بين اليهود وبين الغزاة من البابليين والآشوريين واليونان والرومان، أو انفراد من الغزاة بالقدس بعد نفي اليهود منها، وكأن هذا النفي مرحلة مؤقتة لابد أن تنتهي بالعودة اليهودية وهذا نقصٌ شنيع في المصادر، أتاح لليهود فرصة رسم التاريخ كما شاءوا، من خلال مصادرهم التي لا يرقى مستوى الكثير من محتواها إلى مقام الفلكلور الشعبي الذي حُشي بروايات لا وزن لها والمشكلة أن

الكثير من المسلمين يأخذون بهذه المرويات وبالقراءات اليهودية المنحازة للمكتشفات الأثرية الفلسطينية على أنها شيء مسلَّم.

وعند العودة إلى التدمير الروماني للقدس، سنجد أن الرومان قد ولوا على فلسطين وجوهاً قبيحة تسلطت على رقاب العباد، واهتمت بجمع المال والثروة، يقول المؤرخون عن أحدهم: كان ألبينوس يقبل الرشوة من كل ناحية، ولا يترك في السجن سفاحاً يستطيع أن يدفع له ثمن حريته، ويسمح للمتنافسين من رؤساء الكهنة أن يخوضوا معاركهم في الشوارع، ويجرب بنفسه التلصص وقطع الطريق ولكن حتى ألبينوس هذا كان ملكاً عادلاً إذا قيس بخلفه جيسيوس فلورس 64 – 66م، ذلك الذي بدأ بسلب الأفراد وقتلهم، ثم انتهى بتدمير المدن برمتها، ولم يكن على قطّاع الطرق جرم طالما ظفر فلورس بنصيبه من الغنيمة.

كان هذا حال الحكام الوثنيين الذين ولاهم الرومان أمر القدس وفلسطين، فلم يكن لهم دين يعلّمهم، أو شرع يوجّههم، وأما اليهود فقد كان لديهم من تراث الآباء وهَدْي الأنبياء ما هو كفيل بإنقاذهم لو راعوه وعملوا به ولم يكتفوا بالبعد عن الحق، بل حاربوا أهله، وشنوا حرباً على أتباعه أوقدوا نيرانها أكثر مما فعل الرومان، وكان اضطهاد المسيح عليه السلام وأتباعه من أبرز الأمثلة على ذلك.

من هنا بدت الساحة وفي الصورة فريقان كلاهما خاطئ، تعاونا على وأد الحق، وافتنّا في مخالفة الحَسَن من الأخلاق والقويم من العقيدة، فسلط الله قويَّهم الرومان على ضعيفهم اليهود، وذلك أن اليهود ثاروا على شدة الوالي الروماني فلورس، وذبحوا الحامية الرومانية في القدس عام 66م فاهتزت هيبة الرومان بهذه المذبحة وغيرها في أنحاء فلسطين، فوجهوا سنة 67م جيشاً للانتقام عدته 60 ألف مقاتل، ويقوده فسباسيان الذي سيصير إمبراطوراً على روما بعد عامين من بدء الحملة واشتدت وطأة الجيش الزاحف، لكنه وجد صعوبات في طريقه، حتى وصل إلى أسوار القدس، وفي هذه الأثناء سنة 69م وقعت أحداث على مستوى الدولة الرومانية الكبيرة، تدخلت أثناءها فرق الجنود الرومان في سوريا، ووضعوا قائد الحملة فسباسيان إمبراطورا على الدولة الكبيرة ولم ينس الإمبراطور الجديد أن يترك على الحملة قائداً قوياً لتحقيق الهدف منها، فكان هذا القائد هو ابنه تيطس الذي حاصر القدس من الخارج، ونار الفتنة والخلاف بين فرق اليهود تشتعل في داخلها، وآلام الجوع والوباء والقتل تتصاعد، حتى نقب الرومان الحصون، ودخلوا المدينة،ونيران الحقد لاغتيال حامياتهم في فلسطين تتحكم في مشاعرهم، فدمروا وقتلوا، وسيطروا على بيت عبادة بني إسرائيل.

انتهت هذه الأحداث كما تذكر رواية يوسفوس المؤرخ اليهودي الذي شارك إلى جانب الرومان في معارك شمال فلسطين انتهت بالاستيلاء على القدس في أغسطس سنة 70م، لكن ميل المجموعات اليهودية إلى صنع القلاقل والثورات كان كامناً في نفوسهم، خاصة بعد أن نوى الإمبراطور الروماني إيليوس هادريانوس سنة 132م إقامة مدينة جديدة في القدس، تأخذ طابع الوثنية التي يعتنقها، وحال بين اليهود وبين تأدية طقوسهم التعبدية في القدس، فخرج رجل يهودي اسمه بركحفا، وادعى أنه المسيح الذي ينتظره اليهود، وتزعم الثورة ضد الرومان، واستطاع بالفعل طرد الرومان،وبقي مستقلاً ثلاث سنوات، حيث جرد له هادريانوس حملة قوية استطاعت عام 135م أن تدمر مئات القرى، وتسقط عشرات القلاع، وتسحق بركحفا ومن معه، وتدمر المدينة المباركة القدس وبيت عبادة بني إسرائيل، حيث صارت المدينة خاوية على عروشها وحُرِّم دخول القدس على مَنْ بقي من اليهود بعد الحرب، وشتت الرومان جموعهم، ولم تعد هناك جماعات يهودية في ضواحي المدينة.

في احتفال بالحدث في روما، صُنع للقائد الظافر تيطس قوس النصر، ونُقشت عليه بعض مشاهد ما جرى وما زال هذا الأثر باقياً يبدو فيه مشهد أسلاب الحرب والأواني الذهبية والشمعدان اليهودي الشهير.

هادريانوس يبني إيلياء القدس

كان من أقدر الرجال الذين شغلوا منصب الإمبراطور على مر التاريخ إيليوس هادريانوس، الذي زار القدس واطلع على أحوالها سنة 130م، وأزمع سنة 132م أن يبنيها من جديد، لا كمدينة أنبياءَ يُعبد فيها اللهُ الواحد،ولكن كمدينة وثنية تخلّد ذكر الإمبراطور، وحين وقف بعض اليهود في طريقه أنهى الوجود اليهودي في القدس، وهدم المدينة المباركة سنة 135م واختار إيليوس هادريانوس للإشراف على بناء مدينته الجديدة أحد رجاله المخلصين له، المسمى روفوس تيمايوس، واختار للمدينة اسم إيليا كابيتولينا؛ أي مدينة إيليوس؛ تخليداً لاسمه، وكان من عادة أباطرة روما أن يسموا المدن التي يشيدونها بأسمائهم، كما سيفعل قسطنطين الكبير عند بنائه القسطنطينية في القرن الرابع للميلاد.

أقيمت إيلياء على الطراز الروماني، وضمت معابد وثنية ومسرحاً، وحُفرت لها بركة ماء، وشُيّد فيها سوقان وتجمعات سكنية يقول أحد الباحثين عن هادريانوس: إنه بنى معبد جوبيتر على أنقاض المعبد القديم، وأقام تمثالاً لنفسه أمام المعبد، كما أقام أيضاً معبدا لفينوس وبُنيت أسوار إيليا لتضم المدينة القديمة الحالية، واستثنى منها مدينة

داود، في القسم الجنوبي للحافة الشرقية، وكذلك جبل صهيون الحالي على التل الجنوبي الغربي وقد بقي اسم إيلياء علما على المدينة المباركة طوال الفترة الرومانية والبيزنطية، واستخدمه العرب والمسلمون، وورد في بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لكنه سرعان ما اختفى في أعقاب الفتح الإسلامي، وحلت محله الأسماء العربية الإسلامية المشرقة، مثل: القدس، وبيت المقدس.

القدس والتحول الروماني إلى المسيحية

هذا التحول من الوثنية إلى المسيحية جاء حسب تأويل شاول بولس للرسالة السماوية، لا كما جاء بها عيسى عليه السلام لكنه كان تحولاً من كبار التحولات في تاريخ أوروبا والشرق، وكان له تأثير مهم في تاريخ القدس ففي سنة 313م اختار الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير ت 337م المسيحية ديانة رسمية لدولته،وكان شكلُ الديانة الجديد قد أعطى النبيَّ الكريم عيسى عليه السلام موقعاً مركزياً في الكون كلّه، فلم يصر عندهم عبدًا لله كما هو الحق لكنه عُدَّ ابناً للخالق سبحانه وتعالى مما يراه الكثيرون من دارسي المسيحية تصالحا بين الوثنية وبين الديانة الجديدة، حيث يصبح الإنسان المتميِّز وسط التركيب

الاجتماعي القائم ابناً للإله الأعظم، كما هو الحال عند المصريين القدماء واليونان والرومان وغيرهم.

وما دام المسيح قد وُضع هذا الموضع، فلابد أن تكون للأماكن التي يعتقد المسيحيون أنه عاش فيها قداسة خاصة، فعدوا إيلياء كلها مدينة مقدسة مدينة الرب، وجعلوها موضعاً يحجون إليه من أرجاء الدنيا، وإن بقيت بعض المدن حسب قرارات مجمع نيقية سنة 336م في منزلة أهم منها وأكثر قداسة، وهي: روما وأنطاكية والإسكندرية، حيث قامت في كل واحدة منها بطريركية كبيرة، في حين بقيت القدس مجرد أسقُفّيّة، حتى جاء مجمع خلقدونيا المسكوني سنة 451م، فرفع إيلياء القدس والقسطنطينية إلى درجة البطريركية.

لقد كان للتحول الروماني إلى المسيحية تأثير كبير في القدس والعالم، فبعد أن كانت هذه الدولة المترامية الأطراف مضطهِدةً لأتباع المسيح عليه السلام صارت حامية وممثلة لهم، كما أن إيلياء القدس التي أقامها إيليوس هادريانوس للمعبودات الرومانية واليونانية الوثنية، قد لبست زيَّ المسيحية الجديدة، وبنى الرومان فيها كنائس منذ زمن مبكر لاعتناقهم هذه الديانة، وإن كان ذلك بعد المسيح عليه السلام بثلاثة قرون كاملة وأشهر الشخصيات التي شاركت في إقامة الصروح

المسيحية في القدس هي هيلانة والدة قسطنطين الكبير التي عُدَّت قديسة لهذا السبب، فيذكر المؤرخون أن مكاريوس مطران إيلياء قابل الإمبراطورة هيلانة، وحدثها عن الحالة السيئة للمدينة، ولابد أنه ذكّرها بأنها مدينة المسيح، فقامت الإمبراطورة بزيارة تاريخية إلى القدس سنة 326م، واطلعت على حالها من قريب، وعاينت مع المطران مكاريوس ما ظنا أنها أماكن ارتادها المسيح، أو كانت له فيها بعض المواقف، وبنت كنيسة القيامة في الموضع الذي ظنا أنه المكان الذي دُفن فيه المصلوب، واعتقدا أنه قام منه بعد الدفن وقد شكك دارسو العهدين القديم والجديد في دقة هذا الاختيار، فقالوا: توجد في أورشليم أماكن كثيرة يربطها التقليد بحوادث في حياة يسوع المسيح، لكن لا يمكن التثبت إلا من القليل منها على وجه التحقيق ويقول التقليد إن كنيسة القيامة مقامة فوق مكان الصلب ومكان قبر يسوع المسيح، ولكن يظن بعض العلماء أن موضع هذين المكانين غير معروف،وأن موضعهما شمال من الأسوار الحالية.

وقد أقام أباطرة الرومان في القدس كنائس أخرى، مثلما فعلت الإمبراطورة أيودكسا في منتصف القرن الخامس الميلادي، كما شيدوا في المدينة صروحاً كثيرة، مثل دار ضيافة الحجاج الأجانب ودار ضيافة الفقراء المرضى في الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس الرومانية، وتُنسب الداران إلى الإمبراطور جستنيان ، وقد كُشف عن بقاياهما حديثا.

القدس في حيازة الفرس الساسانيين

آخر قوتين تنافستا على السلطان في العالم قبل انتشار الإسلام هما: الفرس الساسانيون والروم البيزنطيون، وقد كانت الوقائع بينهما ساخنة في السنوات الأولى للإسلام، فحين كان المسلمون مضيَّقا عليهم في مكة وشِعابها، وقعت معارك كبيرة بين الفرس والروم حُسمت أولاً لصالح الفرس في وقعة حربية حامية في فلسطين وقد استطاع الفرس في مراحل الصراع المتتابعة الاستيلاء على مدن مهمة، كدمشق سنة 610م، ولكن وعورة الطرق الشامية، والوقتَ الطويل الذي كانت تقضيه الجيوش في حصار المدن أخّرا السيطرة الفارسية على القدس إلى سنة 615م، حيث وقعت بأرض فلسطين تلك المعركة التي أشار إليها القرآن الكريم في صدر سورة الروم، وذكر أن الروم بعد هزيمتهم ستَرْجَح كِفَّتهم على الفرس في لقاء حربي آخر لن يتأخر موعده عن بضع سنين أي 9 - 10 سنوات على الأكثر يقول تعالى:{الم. غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبهم سيَغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد..}وتقول الروايات: إن القائد الفارسي الذي تولى الاستيلاء على القدس هذه المرة يدعى خوريام، الذي كان ينطلق من مقره في قيصرية، وقد تيقنت بقايا اليهود في بيت المقدس من قوة الزحف الفارسي، فأعدوا لتسليم المدينة للفرس،وغلبوا النصارى على أمرهم، فدخلت خيول فارس

مدينة بيت المقدس بعون يهودي ولم تمر سوى بضعة شهور حتى كان نصارى بيت المقدس يثورون ضد الفرس، ويقتلون قادتهم، ويسيطرون على القدس من جديد وهنا جاء قائد فارسي آخر هو شاه ورز ليستعيد المدينة من الروم، فضرب عليها حصار، ووجد من اليهود عوناً جديداً وكبيراً على هدم الأسوار، حتى نجح بعد تسعة عشر يوماً من الحصار في دخول القدس، ووقعت مقتلة عظيمة في صفوف الروم مايو سنة 615م، هلك فيها كثير من الرهبان والراهبات.

وقضى الفرس واحداً وعشرين يوماً في القدس بعد أن سيطروا عليها، لم يكن فيها إلا القتل والتنكيل والنهب والحرق، حتى خربوا كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس، وجردوها من كنوزها، واستولوا على صليب الصلبوت المقدس لدى النصارى، وأسر من الروم وأعوانهم عدد هائل، كان اليهود يشترون بعضهم ليستمتعوا بقتلهم وكانت المفاجأة أن الوفاق لم يدم بين الفرس واليهود، فأبعد اليهود عن القدس، ورضي الفرس أن يعيد النصارى إعمار كنائسهم ففعلوا، وسُجِّل ذلك في خطاب تاريخي من رئيس الجماعة المسيحية في فلسطين مودستوس إلى كومتاس نظيره في أرمينيا .

البيزنطيون يستعيدون القدس

لم تتوقف الخيول الفارسية عن السياحة فوق أرض الروم وغزوها عند حدود الشام،بل امتدت إلى مصر، ووصلت إلى آسيا الصغرى وساحل البوسفور المواجه للقسطنطينية نفسها ومع أن الفرس أتاحوا للنصارى فرصة ممارسة شعائرهم وإعمار كنائسهم في القدس، إلا أن كسرى عمد إلى إذلال رءوس الروم، حتى القيصر هرقل نفسه، وأرسل إلى هرقل مع أحد رسله يقول: قل لمولاك إن دولة الروم من أرضي، وما هو إلا عاص ثائر وعبد آبق، ولن أمنحه سلاماً حتى يترك عبادة الصليب ويعبد الشمس!! أغضب هذا هرقل، وبعد أن كان مستسلماً هو وقومه لقدر الوقوع في يد الفرس، إذا به يهب نفسه لافتداء الصليب المقدس، ويحشد مائة وعشرين ألفاً من قومه، ويتحرك للقائهم في نفس عام هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة؛ أي عام 622م.

وكان المسلمون ومشركو مكة على السواء يرقبون الموقف، ويتابعون أخبار الأحداث وتطوراتها في حرب طاحنة متوقعة، فقد ذكر القرآن أن الروم سيعودون بعد هزيمتهم الأولى ليذوقوا طعم النصر، وتراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على من سينتصر، ومال كل فريق إلى تشجيع طرف من الطرفين؛ فأما المشركون فمالوا إلى الفرس لمشابهتهم

لهم في وثنيتهم، وأما المسلمون فمالوا إلى الروم أهل الكتاب وجرى القتال في مواضع مختلفة؛ مثل قليقيا وطرابزون، واشتعلت المعارك طوال ست سنوات، حتى حُسمت لصالح الروم عندما استولوا على دستجرد على بعد 80 ميلاً من المدائن عاصمة كسرى في فبراير سنة 628م.

واستعادهرقل ما يسمى الصليب المقدس، وسار على قدميه حاجا من حمص إلى بيت المقدس، حيث قرر أن يكون احتفاله بالنصر الكبير على الفرس، وليعيد الصليب المذكور إلى كنيسة القيامة وقيل إن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه وقومَه إلى الإسلام قد وصل إلى يد هرقل أثناء هذه الرحلة ولم ينس الروم الانتقام من اليهود، فنفاهم هرقل خارج القدس، ومنعهم من العودة إليها أو الاقتراب منها إلى مسافة ثلاثة أميال من الأسوار، بل قيل إنه قتلهم حتى لم يبق منهم أحد في دولة الروم ومصر والشام إلا من هرب أو اختفى.